

اثر الاعتقاد الديني على شخصية الملك شرو-اوكن الثاني سرجون الاشوري

د.نبيل نورالدين حسين
كلية الاثار – قسم الاثار

ملخص

عند البحث والتقصي في الموروث الفكري والإنساني والعمراني والعسكري ومجمل النشاط الحضاري الذي خلفه لنا ملوك الدولة الآشورية وخصوصاً الحديثة منها ٩١١ – ٦١٢ ق.م فإننا نرى وبشكل واضح وجود تفاوت بين هذا الملك وذاك في اهتماماته وتوجهاته ونظراته للحياة وهو أمر طبيعي لدى البشر ، ويتجلى كل ذلك في سلوكية كل واحد منهم بما تركه من أقوال وأفعال سواء قبل وأثناء فترة حكمه ، فمثلاً اهتم احدهم بتعلم اللغة والكتابة والتدوين وترك لنا مكتبة ضخمة خاصة به ، في حين اهتم آخر بشق الترع وبناء القناطر وإقامة السدود وزراعة الحدائق والغابات مخلفاً حزمة من المشاريع التي لازالت آثارها باقية حتى يومنا هذا ، وسجل ثالث رغبة واضحة بممارسة الرياضة والصيد والقنص وتربية الحيوانات التي انشأ لها حديقة خاصة تحكي مشاهد النحت البارز والمجسم قصتها فهي لا تزال تزين جدران مدنهم ومعابدهم ومعظم متاحف العالم الحديث .

ان تحقيق العدالة والصدق وإحقاق الحق وكلمات الرحمة وصاحب الكلام الطيب وتقصي الحقائق وإشباع الجائع ومساعدة المحتاج وتحديد الأسعار وتحقيق السعادة للناس ونشر البهجة والسرور في نفوسهم وإنصاف المظلوم من

الظالم وبناء مساكن (معابد) الآلهة وتخصيص الهبات لها وتحقيق رغباتها وتنفيذ أوامرها وبالتالي إحكام جميع أعماله بالعودة لإرادة الآلهة ^(٢) ، كل ذلك ينم عن التأثير الإيماني في شخصية شرو-اوكن الثاني فقد كانت تلك المفردات جميعها واضحة في مجمل أعماله وكتاباته التي سجلت نشاطاته الفكرية والعمرانية والعسكرية .

The exploration of the human, intellectual, military, architectural and cultural literatures of the Assyrian kings particularly the New Assyrian ones 911-612 B.C reveals prominent differences between one king and another with regard to interests, concerns and views which is considered natural among humans. This variance is evident in the behavior and legacy of each of them before and during their reigns. One of those kings for instance was primarily interested in learning and writing and hence left a big library. Another king was interested in building channels and dams and in agriculture leaving a number of projects the ruins of which can still be seen today. The interests of another were all about sports, hunting and animals rearing for which he built ranches and stables telling the story of the relief decorating the ancient temples, palaces, cities and the walls of the world museums today.

Justice, law enforcement, social support and insurance for the poor, price control, nation welfare, the establishment of temples and the fulfillment of the gods desires and instructions are all evidences of the religious effects on the personality of Sargon II. These interests can be clearly seen in his inscriptions, deeds and annals.

مقدمة

عند البحث والتقصي في الموروث الفكري والإنساني والعمراني والعسكري ومجمل النشاط الحضاري الذي خلفه لنا ملوك الدولة الآشورية وخصوصاً الحديثة منها ٩١١ - ٦١٢ ق.م فإننا نرى وبشكل واضح وجود تفاوت بين هذا الملك وذاك في اهتماماته وتوجهاته ونظراته للحياة وهو أمر طبيعي لدى البشر ، ويتجلى كل ذلك في سلوكية كل واحد منهم بما تركه من أقوال وأفعال سواء قبل وأثناء فترة حكمه ، فمثلاً اهتم احدى بتعلم اللغة والكتابة والتدوين وترك لنا مكتبة ضخمة خاصة به ، في حين اهتم آخر بشق الترع وبناء القناطر وإقامة السدود وزراعة الحدائق والغابات مخلفاً حزمة من المشاريع التي لازالت آثارها باقية حتى يومنا هذا ، وسجل ثالث رغبة واضحة بممارسة الرياضة والصيد والقنص وتربية الحيوانات التي انشأ لها حديقة خاصة تحكي مشاهد النحت البارز والمجسم قصتها فهي لا تزال تزين جدران مدنها ومعابدهم ومعظم متاحف العالم الحديث .

إننا هنا لا ننفي الاهتمام العام لجميع ملوك الدولة الآشورية بمن فيهم شرو - اوكن الثاني^(١) ٧٢١ - ٧٠٥ ق . م (انظر الشكل رقم ٢) كأعمال البناء وتشبيد المدن والمعابد وقيادة العمليات العسكرية لحماية امن واستقرار بلاد اشور أو في شق الترع وإقامة السدود وممارسة الرياضة وغيرها من النشاطات الحضارية ولكننا قصدنا ان لكل واحد منهم كان له توجه خاص غلب على ما سواه من فعاليات ونشاطات أخرى فقد بدى ذلك الاتجاه او التوجه واضحاً في سلوكه وعرف به من خلال ما تركه من اثار وشواهد لاتزال باقية الى يومنا هذا .

ان تحقيق العدالة والصدق وإحقاق الحق وكلمات الرحمة وصاحب الكلام الطيب وتقصي الحقائق وإشباع الجائع ومساعدة المحتاج وتحديد الأسعار وتحقيق السعادة للناس ونشر البهجة والسرور في نفوسهم وانصاف المظلوم من الظالم وبناء مساكن (معابد) الالهة وتخصيص الهبات لها وتحقيق رغباتها وتنفيذ أوامرها وبالتالي إحكام جميع أعماله بالعودة لارادة الالهة ^(٢) ، كل ذلك ينم عن التأثير الإيماني في شخصية شرو-اوكن الثاني فقد كانت تلك المفردات جميعها واضحة في مجمل أعماله وكتابات التي سجلت نشاطاته الفكرية والعمرانية والعسكرية .

ابتداءً إذ كنا نجهل اسمه الحقيقي فانه أطلق على نفسه اسم شرو-اوكن الملك الصادق اوالمك الحق تيمنا بسرجون الاكدي الذي اظهر اهتماما به وذكره في كتاباته ^(٣) ، وأطلق على مدينته التي بناها دور شرو-اوكن - Dur Sharukin بمعنى مدينة الصادق او الحق ^(٤) . ثم انه كان يؤمن بالخط والتنبؤ والنجوم من خلال ما يفسره الكهنة لمعرفة موقف الآلهة منه ورضاها عنه ففي عهده تحققت تنبؤات عديدة وانجازات فلكية عظيمة فقد جرت أعمال لرصد القمر والنجوم وتحديد أوقات الصلاة وتعاليم العبادة فكان رجل النجوم الذي اعزى سر قوته وقدرته ومرضه وسعادته مرهون بما تقرره الإلهة فهو يقول ((... ان الآلهة التي تمنحني القوة هي القادرة على ان تمنحني بحياة طويلة ... وصحة في الجسد ... و سرور في القلب ... وبشاشة في الروح ... اذ ان كل ذلك مرهون بما تطلعه من شفاهاها المقدسة ...)) . ^(٥)

ونراه عندما يبدأ حكمه في العاصمة آشور يرصف جانب المعبد ويغطي الطريق المنحدر ببلاطات مزججة وبنقله الى العاصمة نينوى فانه يرمم معبد نابو Nabu ومردوخ Marduk وحينما يقرر ويوحى من الإلهة وأوامرها بناء مدينته الجديدة فانه لا يغتصب الأراضي من أصحابها ولم يصادرها فهو من الملوك القلائل الذي عرفناهم حتى الآن ممن يشتري الأرض من أصحابها (حاملي سنداتها الأصلية) بأسعار عالية ومن لم يقبل البيع فانه يعوضه بسخاء باراضي بديلة تساوي ارضه وربما أكثر في بعض الأحيان حيث نقرأ في واحدة من نصوصه بانه أي شرو-اوكن () ... قد منحت بعض مالكي الأراضي ٩٥ دونماً بالقرب من مدينة نينوى ... اما بالنسبة لأولئك الذين لا يقبلون تبديل أراضيهم فسيكون الدفع نقداً ...) . (٦)

وحين يبني مساكن (معابد) الآلهة في مدينة دور شرو-اوكن يقول ما فعلت هذا من نفسي ان هو الا وحي يوحى اليّ () ... بكل حكمتي التي هي امر الاله ايا Ea سيد التفكير العميق الذي اعطاني الفهم والبراعة والتخطيط من خلال عقلي المثمر الذي جعله ايا Ea يفكر تفكير الملوك ... لأعمل ضريح نبيل وعالي لسكن الالهة العظيمة وطبقاً لأوامرها وضعت الاسس التي ستدوم الى الابد لمسكن ايا Ea وسن Sin ونركال Nirgal وشمش Shamash واورتا Urta ...) . (٧)

وكشفت التنقيبات الاثرية في مدينة دور شرو-اوكن التي بناها شرو-اوكن عن سبعة معابد داخل القصر ومحيطه به وليس بعيداً عنهم معبدي نابو وسيبتي بالإضافة الى معبد الاله اشور في أعلى الزقورة وبذلك تبدو مدينة دور شرو-

اوكن وكأنها دار عبادة للالهة التي يخشاها شرو-اوكن والتأثير الإيماني في شخصه حيث يقول ((... رفعت يداي في صلاة متضرعاً الى اشور Ashur وشاوشبا Shaushba الالهة العظمى لنيوى ... وان كلمات التقوى في فمي جعلتها ساره للالهة اسيادي التي امرت ان تكون المدينة مبنية والقناة محفورة ... فحشدت قوتي وقدمت الاضاحي وسكبت الاشربة من اجل الالهة سن Sin وانو Anu وانليل Enlil وايا Ea ...)) ولم تملي الالهة اوامرها على شرو-اوكن في تخطيط المدينة ورسم معالمها فحسب بل انها شاركت في عملية البناء وتحديد مواعده والمواد المستخدمة وحفل الافتتاح والوليمة الخاصة بها كما جاء في قول شرو-اوكن نفسه ((.... في شهر ابو Abu (اب) شهر نزول اله النار مدمر النبات النامي (المزروع) ... وضعت اسس الجدران ... ومن اجل الاله Sin شيدت بالاجر في شهر (الاله الاجري) ... وبنيت المدينة بعمال البناء من الشعوب التي اخضعها يداي ممن دعاهم اشور Ashur ونابو Nabu ومردوك Marduk ان يلقوا انفسهم عند قدمي ... وبكل حكمتي وبراعة تفكيري والهام قلبي التي منحتني اياها الالهة العظيمة ... وطبقاً لأوامرها شيدت المدينة في مكانوبا Maganuba عند جبل مصري Masri .. ومنحتها اسمي دور شرو-اوكن Dur-sharukin)).^(٨) وعند الانتهاء من عملية البناء كان شرو-اوكن يتقدم موكب الافتتاح في شهر تشرين Tashranu وكانت صور الالهة قد ادخلت بشكل مهيب ومقدس في معابدها واقام وليمة باسم الاله الحكيم نابو Nabu اين مردوك وقائد الالهة وكاتبها .^(٩)

وحيث ان الآلهة كانت قد استقرت في معابدها داخل دور - شرو - اوكن فان شرو - اوكن الثاني اطمأن الى ان فترة حكمه ستكون امنة وبأمرهم ستكون مدى الدهر وان أي شخص يخرب مدينته فان الاله شمش shamash والالهة العظيمة ستمحوان اسمه من الوجود ، كما جاء في واحدا من نصوصه ((... وحيث ان الالهة ستستقر في معابدها فان فترة حكمي ستكون امنة وبأمرهم ستدوم مدى الدهر ... وان أي شخص يخرب عملي او تمثالي او يمحو سجل تشريفاتي فان شمش shamash والالهة العظيمة التي تسكن المدينة ... ستمحو اسمه من الوجود ... وتقييده بالسلاسل وترمييه عند اقدام خصمه...)) . (١٠)

ولم يتوقف شرو - اوكن الثاني عند الاهتمام بشخص الالهة وبناء مساكنها (معابدها) وتقديسها وتنفيذ اوامرها وتحقيق رغباتها بل راح يغدق عليها الهبات والعطايا ويقدم لها المؤن ويوقف لها الاملاك فقد خصص المؤن لسبعة الهة هي (سن sin ، شمش shamash ، ادد add ، ايا Ea ، ننورتا Ninurta ، نركال Nirgal ، واحدى الالهات ربما هي الهه سييتي) ، وهذه الالهة على التوالي (القمر ، الشمس ، الرعد ، المياه ، الحرب ، ما بعد الموت ، الحظوظ الاشورية) . (١١)

واعطى الاله نابو Nabu (١٢) ، اهتماماً مميزاً عن بقية الالهة فقد اقام له معبد خاص به على دكه تشبه تلك التي شيدت عليها قصره وتلتقي دكتا المعبد والقصر عند الجنوب الغربي لتؤلفان جسرا من حجر الحلان لاتزال اثاره باقية الى يومنا هذا وهو ما يشير الى الارتباط القوي بين الملك وعالم الالهة . (١٣) كما جعل للاله نابو املاك خاصة به ، ففي واحدة من الرسائل التي وصلتنا يكتب

تاب- سيل- اشارا Tab-Sil-Eshara للملك شرو-اوكن الثاني باسم Halah لريد لها ان تكون وقفاً لمعبد نابو Nabu في دور شرو-اوكن وان مدينة Halah كان شرو-اوكن قد اسكن فيها اعداد من بنو اسرائيل الذين جاء بهم عند فتحه مدينة السامرة ليكونوا من ضمن العبيد الذين يعملون في مزرعة الاله نابو Nabu .^(١٤)

وخص شرو-اوكن الاله سن Sin (اله القمر) مكانا ثليق به عندما جعل كنوزه تصل الى ٦٦ رطلا من الذهب وكثير من الفضة وفعل الشئ نفسه مع مدينته حران Haran مركز عبادته فهو بعد ان يحررها نزولا عند رغبة الالهة انو Anu وادد Add يعين نابو - باشر Nabu - pashir ممثلاً شخصياً له ليقف على احتياجات الاله سن Sin وتحقيق رغباته ، ففي واحدة من الرسائل التي بعثها نابو - باشر للملك شرو-اوكن الثاني يقول ((... خرج الاله سن Sin(اله القمر) من المدينة في اليوم السابع عشر ودخل القصر الذي بناه) شرو-اوكن) في السنة الجديدة ... وتم تقديم القرابين الرسمية بسلام ... وعندما يدخل الاله سن Sin المعبد مرة ثانية فانه سيقوم بامان ويمجد الملك ...)) . وهو ما يعني ان شرو-اوكن قد شيد معبد خاص بالاله سن Sin في مدينة حران التي ربما جعلها وقفاً خاصاً به حيث عثر على نص يناقش فيه شرو-اوكن المهندس المعماري تاب - شار - اشور Tab-Shar-Ashur) المهندس المعماري الذي اشرف على بناء دور شرو-اوكن (عن كيفية إقامة الرموز المقدسة للاله سن Sin في مدينة حران .^(١٥)

ويتضح التأثير الايماني في شخصية شرو-اوكن الثاني من خلال تخطيطه لجعل مفهوم حكم العالم ليس من قبل الملك وحده بل الملك بمساعدة الالهة التي وزعت وظائفها ومناطق سلطتها طبقا للتسلسل الديني عندما مثل العالم المنظم للكون في منطقة المعابد القريبة من قصره داخل ساحة المدينة التي احيطت بسور ضخم محصن تخترقه سبعة بوابات اطلق عليها اسماء سبعة الهة (انظر الخارطة رقم ١) لتؤلف الاتصال بالعالم الخارجي اذ ان أي خطر يهدد المدينة يجب ان تصده تلك الالهة الحارسة للبوابات بالاشتراك مع المالك الحارس (الثور المجنح) الذي يقف على عتباتها ^(١٦) . كما انه كان قد اخذ بنظر الاعتبار تطبيق العقيدة الدينية في دور شرو-اوكن عندما جعل لمجمع الالهة ساحة خاصة بالمعبد داخل قصره مع زقوره ^(١٧) هي الاعلى من بين جميع الابنية لتسهل عملية هبوط زورق الالهة من السماء الى الارض واقام في قمتها معبد خاص بالاله آشور وهو ما يعبر عن الارتباط بين المنطقتين الارض والسماء أي الدنيا والدين والكون والعالم الارض ^(١٨) .

ولم تكن اعمال شرو-اوكن القوية وحملاته العسكرية التي استغرقت معظم سنين حكمه وعلى اكثر من جبهة وما حققه من انتصارات لتتم بمعزل عن ايمانه بدور الالهة ومساندتها ومباركتها ودعمها ومشاركتها في تلك الحملات وهو ما يعكس بكل تأكيد التأثير الايماني في شخصيته ، وحيث لا يسعنا المجال في هذا المكان الخوض بتفاصيل الموضوع عليه فاننا نكتفي باخذ عينة من ذلك التوجه في رسالة شرو-اوكن التي بعثها للالهة عند توجهه الى بلاد اورارتو في حملته العسكرية التي عرفت بين الباحثين باسم حملة شرو-اوكن الثامنة ، فيكتب (...

الى الاله آشور ابو الالهة ... الى الالهات المتحكمة بالقدر ... الى المدينة
وسكانها والى القصر في وسطها ... (١٩) .

وقبل ان نختم بحثنا هذا لابد من وقفة تأمل وتفحص للنص الذي يحكي فيه
شرو-اوكن الثاني شيئاً مما يحمله من قيم وأخلاق عالية تنم عن فكر إيماني
وروح مفعمة بالخشية من الآلهة وحب الناس وعمل دؤوب لتحقيق الرفاهية
والسعادة وإشاعة روح البهجة بين أبناء شعبه عندما يقول :

(... انا شرو-اوكن الملك الباحث المستقصي ... احمل كلمات الرحمة...
صاحب الكلام الطيب ... اجدد المستوطنات التي اصابها الخراب... واجعل
الصحراء تنتج الوفير من الغلة بما حفرت من قنوات ... ووفرت الغذاء الامثل
... واشبعت الجائع ... ففي فترة حكمي لا يوجد نقصاً في الحبوب ... ووفرت
الزيت والسمن ... وكانت الاسعار ثابتة ومحددة ... فانعم الناس بالرفاهية
والخير والسعادة ... وتسمع أصوات الفرح والبهجة في كل مكان ... شرو-اوكن
الملك الحنيف ... العاقل المملوء بالطيبة ... يحمي المحتاج من العوز وينصف
المظلوم من الظالم ... واجعل عاصمتي ملأى بالناس الذي أأتي بهم من جميع
أقاصي الأرض ... واعمل على تدريسهم على أيدي معلمين مهرة بحيث
يستطيعون جميعهم أن يتكلموا لغة واحدة... هي الخشية من
الآلهة ...) (٢٠) .

الخاتمة

يتضح لنا أن ما نقله بعض الباحثين الغربيين أن هذا الملك ووصفه بأوصاف عديدة تتناقض مع ما ورد لنا في المصادر المسمارية التي تعد المصادر الأكثر دقة مما كتبه هؤلاء الباحثين في وصف هذا الملك وغيره من الملوك الآشوريين ، وان الملوك الآشوريين كان شاغلهم الأكبر في فترات حكمهم هو اعمام السلام في أرجاء دولتهم الذي ساهمت عدة عوامل في عدم استقرار الظروف التي مرت عليها واضطر بعض ملوكهم إلى القيام بهجمات استباقية لمناطق كانت تتذر بالتمرد والعصيان كما هو الحال مع الملك شرو-اوكن الثاني الذي كان يدرك أن السلام لايمكن تحقيقه أحيانا بدون القتال ، وبقينا أن هذا الملك جدير بان ينال المزيد من الدراسات في المستقبل للوقوف على حقبة مهمة من تاريخ بلاد آشور خاصة وبلاد الرافدين عامة .

خارطة رقم ١

صورة فضائية ومخطط لمدينة دور شروكين

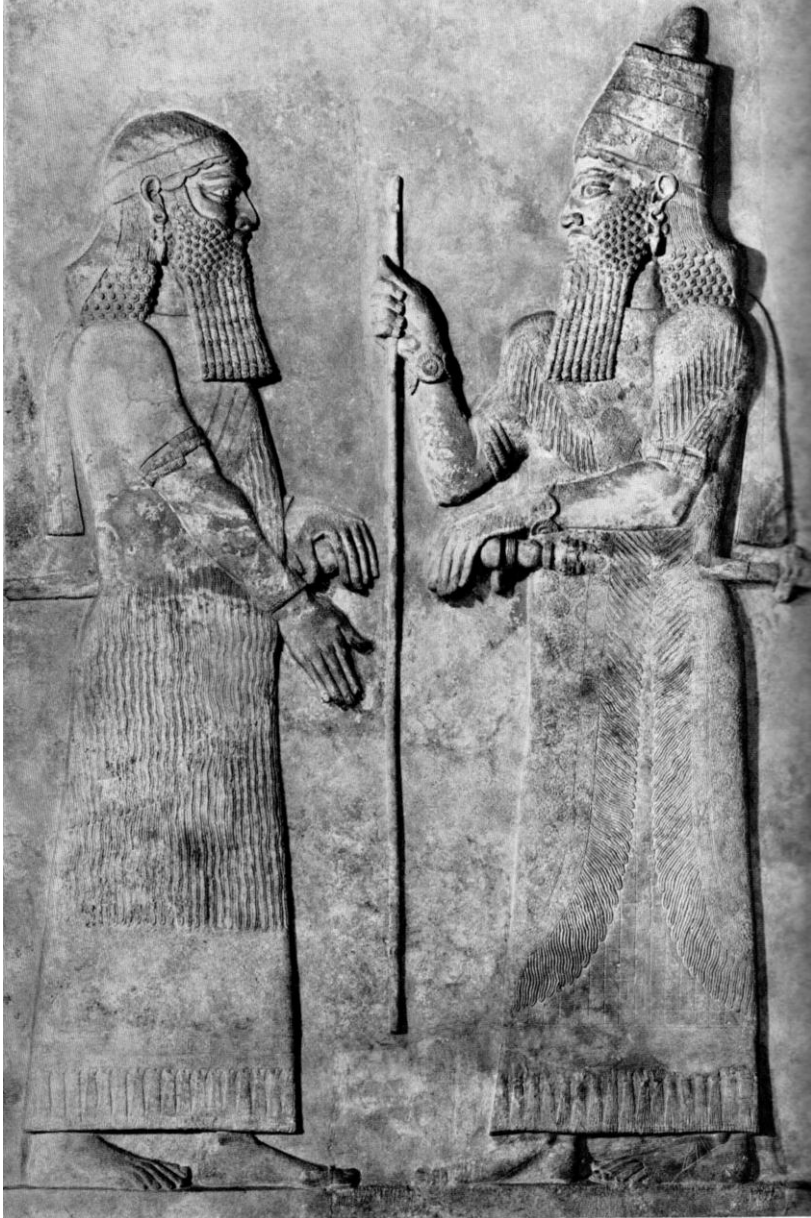
الصورة من موقع Google earth الالكتروني وتخطيط الباحث



شكل رقم ٢

الملك شرو-اوكن يعطي تعليماته إلى احد قادته، ينظر:

Strommenger.E.The Art of Mesopotamia.London-1964.p224



التعليقات والمصادر:

١- شمل عهده بداية حكم سلالة جديدة عرفت باسم السلالة السرجونية تتابع على حكمها أربع من أشهر ملوك العراق القديم بشكل عام والدولة الآشورية بشكل خاص وهم سرجون الثاني ، سنحاريب ، اسرحدون ، اشوربانيبال ، لفترة من ٧٢١ - ٦١٢ ق.م وبانتهاء فترة حكمهم انتهت الدولة الآشورية من الوجود السياسي لعالم الشرق الأدنى القديم .

2 - Johns, Ch. H. W. Ancient Assyria, London – 1952. P.122 .

٢- علي، قاسم محمد : سرجون الآشوري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد - ١٩٨٣ . ص ٦١ .

٣- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الأول ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد - ١٩٨٦ ، ص ٣٦١ - ٣٦٣ .

5- C.H.W.Johns , Ancient ... , op . cit , p 121 .

٦- عامر سليمان ، موسوعة الموصل الحضارية ، المجلد الأول ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل - ١٩٨٩ ، ص ٩٦ .

7- A . T . Olmsted , History of Assyria , Chicago – 1975, P 275 .

8- Luckenbill,D. D. Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol 2, Chicago –p24.

9- C.H.W.Johns , Ancient ... , op . cit , p 120 .

10- S . Lloyd , Twin Rivers , Oxford – 1943 , p . 61 .

11- D.D . Luckenbill , Ancient ... , op . cit , p.64.

١٢- الاله نابو Nabo واحداً من الآلهة الرئيسية في العراق القديم وهو اله الحكمة والمعرفة وقائد الآلهة وكاتبها وبنى له الآشوريين معبد خاص به في كل من آشور ونينوى وكالح ودور شرو-اوكن .

١٣- مورتكات، انطوان : الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه ، مطبعة الأديب ، بغداد – بدون سنة طبع ، ص 402.

14- Olmsted, A. T. History of Assyria, London – 1952. p 277 .

15- Ibid , p 269 .

١٦- كونتيو، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، ترجمة سليم طه وبرهان عبد ، دار الرشيد للنشر ، بغداد – ١٩٧٩ ، ص ١٩٢ .

١٧- تكاد لا تخلو أي من عواصم العراق القديم من وجود الزقورة (البرج المدرج) وهي عبارة عن كتلة صلبة مبنية من اللبن المشوي وتشكل منطقة في المدينة .

١٨- كشفت التنقيبات الأثرية في دور شرو-اوكن عن أربعة طبقات من زقورة المدينة المكونة أصلاً من سبعة طبقات بموجب حسابات المهندس المعماري الذي عمل مع بلاس وقد لون كل طابق من هذه الطوابق الاربعة بلون خاص به كالأبيض والأسود والأرجواني ... وان كل لون من تلك الألوان يرمز إلى خطأ من الخطوط الآشورية .

١٩- عامر سليمان : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

20- D.D . Luckenbill , Ancient ... , op . cit , p . 119 .